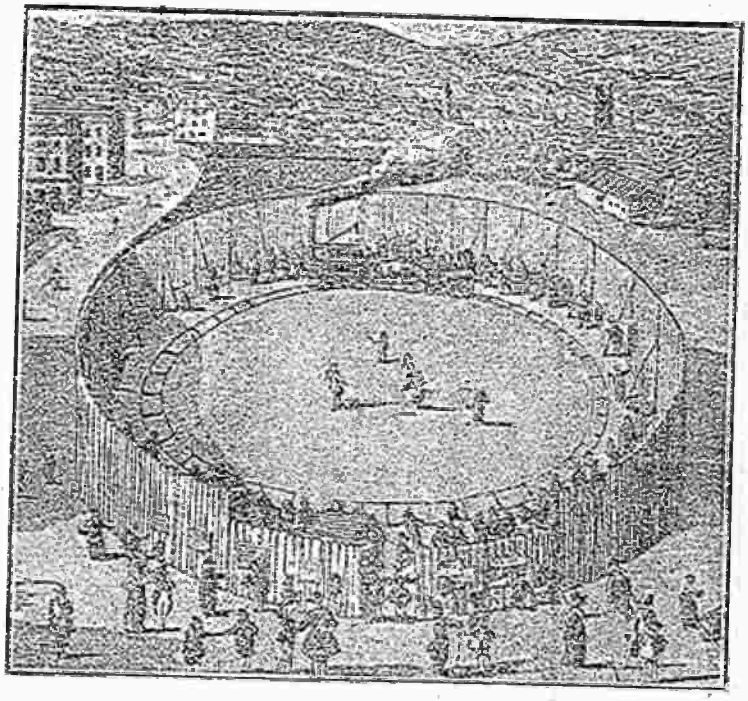

قوة البخار

لمحة من تاريخها — كيف نشأت — اساطين مخترعيها وفاقتهم

لقد نسي الانسان — أو كاد ينسى — أهمية البخار وعظيم نفعه في هذا العصر الحافل بالمخترعات الحديثة والتقدمة التي كادت لكثرتها واطرادها النامي عاما بعد عام وشهراً بعد شهر ، تنسى أهل هذا الزمن ، مقدار ما تكبده في اكتشافها مخترعوها من جهد ، وما أبلوا فيها .

وأي مفكر كان يستطيع أن يتخيل أن في مقدور الفكر الانساني أن يصل الى ما وصل اليه الآن من النتائج العلمية والعملية ، الباهرة ، ولكن تقدم الفكر الانساني وسعيه الحثيث في سبيل التغلب على كل عقبة — مهما جلت — قد أوصلاه الى غايات كان مجرد التفكير فيها من المستحيلات

ولنترك الآن عصرنا المملوء بروائع المكتشفات وغرائب الاختراعات ، راجعين القهقري الى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، ملقين بنظرة سريعة على أساطين العلم في ذلك الزمن الذين سجل لهم التاريخ فضل السبق الى اختراع السكك الحديدية والاهتداء الى فوائد البخار ، على اننا حين نذكر لهم هذا الفضل العميم ، جديرون أن نسجل لهم أمراً آخر جديراً منا بكل تقدير واكبار ، ذلك ان همهم لم تكن منصرفة الى الانتفاع بقوة البخار ومواصلة القليل بالتبار رغبة في الوصول الى ما بلغوه من مجد ، بل كانت الى ذلك تكافح عدوا لدوداً قاهرا لا يقل عن سابقه عنفا وشراسة ذلك العدو هو الفقر

وكأنما كان الفقر ولا يزال من ملازمات العلماء ورجال الادب في كل زمان وفي كل مكان الا القليل النادر الذي لا يكاد — لضآلة عدده — يضعف من اطراد هذه القاعدة

هاك (ادموند كارتريت) مخترع (النول) في سنة ١٧٨٧ ، وهاك العالم المكتشف (اركريت) الذي اخترع عدة التمشيط والغزل في سنة ١٧٦٩ ؛ وثالثهما المخترع (هارجريفز) الم يعانوا من الفقر وويلاته ما ينوء بحمله اساطين الرجال واقوامهم

كذلك قل عن العلماء (جون كيز) و (جا كوارد) و (كروميتن) فقد كان حظهم من الثقافة كحظ من أسلفنا ذكرهم

ولئن ذكرنا هؤلاء العلماء الاجلاء فليس يجدر بنا أن ننسى فضل عالم آخر هو بينهم كالبدر وسط النجوم ، لما له من الفضل على الانسانية والعلم ، ذلك هو المخترع العظيم (جيمس واط) الذي خطا في طريق هذا الاختراع خطوات تذكر له بالشكر والثناء

وعلى ذكر (جيمس واط) نقول أن هناك عالما آخر لا يقل فضله عنه ، وان لم يصل الى شيء من شهرته التي طبقت الخافقين ، ذلك هو العالم (تريفيثك) الذي ورث الذوق الهندسي وحب الاختراع ومواصلة الدؤوب عن والده ، فقد تقدم عن جيمس واط بضع خطوات — تعدها جسيمة جداً — وذلل عقبات وقفت في طريق صاحبه ، وبذلك انفتح باب الأمل على مصراعيه ، بعد ان اخترع نموذجا فذا من الآلة البخارية

وفي مساء ليلة عيد الميلاد من سنة ١٨٠١ ، استطاع أن يشغل (قاطرة) كبيرة صنعها في حانوت حداد واقلح في عملها أيما إقلاح

وما كان أجمل ذلك المنظر الذي اغتبط به سكان مدينة (لندن) حين رأوا أول قاطرة تجارية تسير في شوارع المدينة (سنة ١٨٠٤)

ولقد مدت سكة حديدية في نفس تلك السنة طولها عشرة أميال فكانت هذه أول خط حديدي عرفه العالم

ولقد كان لجورج ستيفنس فضل كبير جداً في هذا الباب ، ولعل أجمل ما نرويه عنه ، زيادة على ما يعرفه الناس من اختراعه الباهر ، أنه كان يحمل الناس في قاطرة انشأها تسير مسافة صغيرة ، فكان يتقاضى شلناً عن كل راكب

لقد مر ذلك الزمن ، وانقضى بعده قرن وعلمنا بعده الى مئات بل آلاف من الاكتشافات العظيمة ، ولا شك أن الزمن سيتم دوره والعقل الانساني لن يقف عند حد ، وسيكون حالنا مع معاصري الجيل القادم كحال اولئك معنا

ومن يدري ، فلعل ما نباهي به اليوم من اكتشاف الراديو واللاسلكي والتلفيزيون واجتياز لدنبرج المحيط طائرا ، سيكون في نظر أحفادي العصور القادمة كتلك القاطرة الصغيرة في نظرنا الآن !

لقد حسب الناس يوم شاهدوا اختراع السكك الحديدية أنهم وصلوا الى غاية ليس بعدها غاية لطامح ، فلما دار الزمن ، تبين ان تلك الغاية لم تكن كما وهموا ، وانها أول الطريق لا آخره !

والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبه !

قلوب المحبين

قال بعضهم : —

تسائل عن قلبي وقد سكنت به ... وتبحث عن لبي وقد سلبت لبي

وماذا عسى تلقين بين جوانحي ... سوى أثر من سهم عينيك في قلبي

أحبك حتى يصبح الحب قاتلي ... وحتى أرى قلبي يذوب من الحب

وها أنا حيٌّ في الهوى شبه ميتٍ ... فان لم أمت شوقاً اليك فما ذنبي ؟